

الفكر العقائدي في التأليف المعجمي: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت398هـ) أنموذجا

The Ideological Thought in the Lexical Composition: Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiya by Al-Jawhari * (D398 H) as a Model

رحال هشام

hicham.raham@univ-relizane.dz

جامعة غليزان / الجزائر

تاريخ النشر: 2023/01/10

تاريخ القبول: 2022/12/21

تاريخ الاستلام: 2022/11/14

ABSTRACT:

ملخص البحث

The comprehension multiplicity of Arabic words that are the key of the two principal sources: The Quran and The Sunna is not possible without the mastery of this language, so it is necessary to gather its words in lexicons for fear of being lost, depending on hearing from credible and honest narrators, and appointing the tribes that should be taken as a reference of data, under strict conditions, but there was a difference in understanding and interpreting texts because of the multiplicity and diversity of comprehension, this is why linguists were influenced, as others, by ideological approaches, reflected in their language production, imbued with the author character and its intellectual and ideological background, because he could not abandon it; we took Al-Jawhari, "author of Al-Sihah lexicon" as a model; thus our conception is based on the following problematic: What is the influence of the ideological background on the lexicon terms? How could we deal with it? Is it possible for the scholar to evade his ideology?

Key words: Lexicon, Ideology, thought, Al-Jawhari

إن تعدد فهم ألفاظ اللغة العربية التي هي مفتاح الأصولين العظيمين: الكتاب، والسنة: حيث الوقوف على أسرارهما ودقائقهما لا يتأتى إلا بالتمكن من ناصيتهما، كان لزاما على العلماء جمع ألفاظها في معاجم خوفا عليها من الضياع والاندثار، اعتمادا على السماع من رواة ثقات وتحري الصدق والأمانة، مع تحديد القبائل المأخوذ عنها بشروط صارمة، لكن حدث الاختلاف في فهم النصوص وطرائق تفسيرها بحكم تنوع الفهم وتباينه، لذا تأثر اللغويون كغيرهم بمنهج عقدي، مما انعكس على نتاجهم اللغوي فاصطبغ بصبغة صاحبه ومشربه الفكري والعقائدي، لأنه لا يستطيع التخلي عنها؛ أخذنا الجوهري صاحب معجم (الصحاح) كمثال؛ لهذا ينبغي تصورنا على إشكالية: ما تأثير الخلفية العقائدية على مصطلحات المعجم؟ ما السبيل إلى التعامل معها؟ هل يمكن للعالم التنصل من معتقده؟

الكلمات المفتاحية: المعجم، العقيدة، الفكر، الجوهري.

مجلة لغة - كلام / مختبر اللغة والتواصل / جامعة غليزان (الجزائر)

1. مقدمة:

فَضَّلَ الله اللغة العربية بتفضيله النبي الكريم، لتكون وعاء لرسالته الأزلية، إلا أنَّها ألفاظها جاءت مختلفة وحاملة لدلالات متعدّدة، مما كان مدخلا لاختلاف المرجعية العقائدية، ذلك أنَّ "معرفة مدلولات الألفاظ العربية من أهم ضوابط فهم اللغة، فإنَّ عدم تحديد مدلولات الألفاظ بدقّة مفض بالضرّورة إلى الشّقاق والنّزاع في فهم وتأويل النّصوص"¹ يتركز فهم اللغة على فهم الألفاظ بدقّة، كان هذا بابا للنزاع في كثير من القضايا العقائدية باعتبار تعدّد فهم الألفاظ. تنزل من علوم الدين ومعارفه منزلة اللسان، لذا لا يُمارى أحد في أن اللغة العربية وعلومها، فهي مفتاح الأصلين العظيمين: الكتاب والسنة، والوسيلة الوحيدة الموصلة إلى فهم معانيها، والوقوف على أسرارهما ودقائقهما"² لفهم مُراد الله في كتابه، وكلام نبيه في سنته لا بد من التحكم في ناصية اللغة العربية، وهي الموصلة إلى علوم لغوية أخرى على غرار: النحو، الصرف، المعجم....الخ.

ارتباط اللغة بالدين ثابتا منذ نزول الرسالة، حيث لسان حال النبي والقرآن الكريم، ذلك أن "من مظاهر علاقة العربية بالشريعة ما استعملته الشريعة من ألفاظ وكلمات عربية كان لها وضع ودلالة قبل ورودها في نصوص الشريعة، وبوروده في هذه الأخيرة نقلت تلك الدلالة السابقة إلى دلالات جديدة زائدة عن المعاني اللغوية الأصلية"³ لكثير الألفاظ دلالات سابقة قبل نزول القرآن، لكن تغيرت معانيها بين اتّساع وضيق، أو بين تخصيص وتعميم.

الأمر أدركه العلماء على اختلاف توجّهاتهم المعرفية، فهذا الشافعي (رحمه الله) (ت204هـ) أدرك قيمة اللسان العربي في فهم مراد الله وسنة نبيه في قوله: "وإنما بدأت بما وصفتُ من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يُعلم من إيضاح جُمْل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرّقها، ومَن علّمه انتفت عنه الشُّبه التي دخلت على من جهل لسانها"⁴ نزول القرآن بلسان العرب جعل فيهم السيادة اللغوية عن باقي الأمم وشرائعها، لسان حال العرب كان لسانها في لغتها، لذا جاء القرآن بلغتهم تحدّيا لهم، وإعلاء لشأنهم؛ لدواع تفضيلية خصّهم الباري تعالى بالقرآن الذي نزل بلغتهم لذا: "خاطب الله تعالى العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتّساع لسانها"⁵ خطاب القرآن جاء وفق لسان العرب وسنّها في كلامها، لذا اتّساع اللسان العربي ميزة خُصّ بها لدواع مختلفة متعدّدة.

2. المعاجم:

إن فكرة نشوء المعاجم اللغوية جاء نتيجة اتّساع رقعة الحضارة الإسلامية، لذا كان لزاما على العلماء جمع اللغة خوفا عليها من الضياع ما أصبح يعرف بجمع اللغة أو التقعيد اللغوي، حيث تجمع الكلمات برحلة العالم "إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرها في وصف الفتى أو الشيخ، فيدوّن ذلك كله حسبما سمع من غير

ترتيب إلا ترتيب السماع"⁶ يعتبر هذا الجهد كمرحلة أولية لعملية الجمع، تليها مرحلة "جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد"⁷ يختص بتبويب الألفاظ في اختصاص واحد كألفاظ الخيل أو المطر للأصمعي وغيرها؛ كآخر مرحلة هي "وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة"⁸ أول من كان له قدم سبق فيه هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) في معجمه (العين) الذي رتبه ترتيباً صوتياً أبدع فيه مما أتاه عقله.

هذه اللغة المجموعة التي ذكر السيوطي أنها "تؤخذ اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه أو غيرهما؛ فهو يأخذ اللغة عنهم على ممر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من مُلقّن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويتّقى المظنون"⁹ عملية التلقين أو التلفظ كانت سماعية، إلا أن الفارق بينها كان في درجة الفصاحة فهي لم على مستوى واحد؛ حيث اختلفت درجة الفصاحة من قبيلة إلى أخرى ولم تكن على درجة واحدة، لذا البعد المكاني كان له تأثير قوي في ذلك، لأن القبائل المتاخمة للعجم لم يؤخذ عنها، أما القبائل أخرى التي "حافظت على عربيتها لبعد مكانها عن الاختلاط والفساد.

لذلك لما جاء العلماء "يروون اللغة تحزّوا، وفضلوا بعضها على بعض"¹⁰ وهو ما ذكره وأكّده أحمد أمين نقلاً عن السيوطي (ت911هـ) في مزهره في قوله: "إن الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"¹¹ هذا التحديد جاء عن دراية وتمكّن من حيثيات الرواية للغة، وكأن العربية هنا عربيتان "نقية فصيحة تعيش منعزلة في أواسط البادية وعربية اختلطت ففسدت على أطراف شبه الجزيرة العربية والأقطار المتاخمة لها"¹² عملية الانتقاء تمت بعناية فائقة، وبعلمية تنم عن عقول أبدعت وتميزت بإنتاجها المعرفي.

3. تعريف المعجم:

المعاجم اللغوية كتب جمعت بين دفتيها آلاف الصيغ الإفرادية خوفاً عليها من عوائل الزمن الضياع والاندثار، فهي "خزائن اللغة وكنوزها التي يستمدّ منها الإنسان ما يغني حصيلته اللغوية وينمّيها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء: مجال الاستيعاب والفهم والتوسّع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، وفي مجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي"¹³ تخزن اللغة بداخلها، لذلك وُسمت بخزانة اللغة كونها تقدّم للباحث حصيلة لغوية، تساهم في إثراء البحث العلمي، هي ملجأ العالم والمتعلّم للظفر بالمعنى المناسب؛ معاجم اللغة العربية لها مهمة هي "تدوين المعاني الأصلية الأولى للكلمة والمعاني الأخرى التي طرأت عليها"¹⁴ يعطيها مكانة السبق بين الدراسات اللغوية كون أول معجم عربي كان في حدود ق2هـ مع الخليل في معجمه (العين).

يظهر أن فكرة المعاجم العربية قامت على الكلمة المفردة التي "هي الأساس الذي قامت عليه اللغات جميعاً؛ وعليها بنى علماء اللغة معاجمهم. ومن لم يدرك معاني الكلمات المفردة، لا يستطيع أن يدرك فحوى الكلام ومدلولها تمام الإدراك"¹⁵ لذات السبب تأسست فكرة المعاجم إيقاناً منهم تقييد ألفاظ اللغة والتحري عن أصولها واستعمالاتها المختلفة.

المعجم في أصله كتاب يضم عدد لا حصر له من مفردات اللغة مترتبة ترتيباً معيناً (صوتي، هجائي، ألف بائي)، إضافة إلى شرحها وتشجيرها وتفرعها والبحث عن أصولها، حيث يظهر للمعاجم فوائد كثيرة منها "ضبط الألفاظ والأطّلاع على تطور بعض معاني المفردات من عصر إلى آخر، والكشف عن الأعلام والأشخاص والقبائل والأماكن وضبطها، وتحقيق كثير من الشواهد والروايات المتضاربة"¹⁶ ألفاظ اللغة وجمعها وضبطها مع ما اجتمع من شواهد كان هدف اللغويين وجامعي اللغة.

تتفق معظم المعاجم على أن مادة (معجم) في الدلالة على الإبهام والخفاء، فهذا ابن فارس يقول: "العين والجيم والميم ثلاثة أصول، أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عضّ ومذاقة. فالأول: الرجل الذي لا يفصح، وهو أعجم، والمرأة عجماء بيّنة العجمة... ويقال للصبّي مادام لا يتكلّم ولا يفصح: صبي أعجم، ويقال: صلاة النهار عجماء، إنّما أراد أنه لا يجهر فيها بالقراءة، وقولهم: العجم الذين ليسوا من العرب، فهذا من القياس كأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجمًا... والعجماء: الهيمّة، وسميت عجماء لأنّها لا تتكلّم، وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم"¹⁷ العجمة عكس الوضوح، لكن نحن بصدد الحديث عن المعاجم التي تحمل بين دفتيها معاني الكلمات بصيغها الإفرادية المتعدّدة؛ فكيف السبيل إلى الجمع بينهما؟.

خصّص لذلك علماء الصّرف باباً سموه (معاني صيغ الزوائد) حيث "أنواع الزيادة قد تقلب المعنى إلى ضده، كتضعيف عين الكلمة وكرّية الهمزة في أول الكلمة؛ لتدلّ على معنى الإزالة، كما يقال مثلاً في قذيت عين فلان: أقذيت عينه بمعنى أزلت القذى، وأشكيت فلاناً أي أزلت شكواه، وكذلك قسط بمعنى جار، وأقسط: بمعنى عدل، ويقال: أعجمت الكتاب أي أزلت عجمته بنقطة أو شكّله"¹⁸ الصّيغة الإفرادية في المستوى الثاني للمستويات اللغوية أزلت اللبس والغموض، ذلك أن زيادة الهمزة في بداية الصّيغة قدّم المعنى بضده، بذلك كانت صيغة أعجمت بمعنى أزلت العجمة والإبهام عنه؛ بسط كذلك ابن جيّ (ت392هـ) القضية في خصائصه حين قال: "ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب: إذا بيّنته وأوضحته؛ فهو -إذا- لسلب معنى الاستيهام لا إثباته"¹⁹ ضدّ الإيضاح الإعجام.

4. اللغة والمعتقد:

نستأنس بنص جاء في خصائص ابن جني (392هـ) يشير فيه إلى اختلاف الفهم بسبب تعدد المعتقد يقول: "باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية... أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها وإنما استهواه ضعفه في هذه اللغة... التي خوطب الكافة بها"²⁰ الضعف في إدراك لسان العرب أدى إلى الضلال في الشريعة، لأن اللغة هي الطريق المؤدي إليها؛ الاختلاف آت من اختلاف المذاهب الإسلامية في مسائل تتعلق بالإيمان والعقيدة، لذا منبع اختلافهم في مناهج فهم نصوصها وطرائق تفسيرها.

أدركنا إذا أن اللغة تحتل مكانة عليا في تلك المناهج، فهذا مما يؤكد أنها - اللغة - من أهم أسباب تنوع الفهم وتباينه في حقل الدراسات العقدية²¹ اختلاف الرؤى جاء من اختلاف فهم اللغة ودرجاتها، ذلك أن تلك المناهج جعلت من اللغة في خدمة عقائدها، كأنها جعلتها تابعة لا متبوعة؛ لهذا نجد أن "اللغويين كغيرهم من العلماء تأثروا بالمناهج العقدية التي راجت في عصورهم؛ لمعايشتهم لها، وأهم المناهج التي تأثروا بها حتى نهاية ق4هـ حسب الأهمية هي: منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج المعتزلة..."²² الأمر منطقي بحكم التأثير والتأثير الحاصل في حاضرة العلم والعلماء.

الأمر أكده من بعده الشاطبي (ت790هـ) في الموافقات حين قال: "الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حقّ الفهم إلا من فهم اللغة العربية حقاً لفهم، لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز؛ فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطاً؛ فهو متوسط في فهم الشريعة... وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولاً، فلا بدّ من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي والمازني ومن سواهم"²³ فهم الشريعة من فهم العربية، ومن بلغ شأواً فيها كان له في الشريعة، تعتمد درجة قبول الاجتهاد على قوة التمكن من العربية وهو ما أكده السلف في غير ما مرة؛ لهذا "لما كانت الشريعة منزلة باللغة العربية، كان من الطبيعي أن تجري على قواعد العربية معني وأعراباً، وتتأثر بها في مختلف الأحكام الشرعية، ويكون لها دور مباشر في فهم العقيدة الصحيحة، والسلامة من الوقوع في التحريف وما في معناه"²⁴ الأمر منوط باللغة العربية فهما واجتهادا وحكما، لذا نروم التركيز على جانب المعجم لنقف على تأثير العقيدة في فهم ألفاظ اللغة وشرحها وتحليلها وتفسيرها.

عندما نفحص معرفياً في التراث اللغوي العربي متخذين المعاجم اللغوية هدفاً، نجد كمّاً هائلاً من المفردات التي جمعت فيها، عناوين مختلفة تحمل بين طياتها نبل أصحابها، وصدق نياتهم في الحفاظ على اللغة العربية بجمع ألفاظها وترتيبها وتبويبها، إلا أننا نكتشف في خضمها توجهات عقائدية لم يستطع أصحابها التخلي عنها، حيث كان لكل واحد توجه بين الأصول والفروع منهم

السني، المعتزلي، الأشعري، الشيعي... الخ. لذا كان لزاماً علينا الوقوف على بعض هذه الألفاظ التي لم يستطع أصحابها التخلي عن عقائدهم في شرحها، متخذين المعتزلة كمثال متمثلة في (الجوهري) من خلال صحاحه؛ صحاح الجوهري سبقه إلى الجمع والترتيب والتبويب معاجم كثيرة كان أولها معجم العين للخليل ثم تلتها ثلثة من المعاجم، لكن ما يميز الصحاح عن العين من خلال "الترتيب، وسهولة الانتفاع به، وحسن المأخذ ولين القياد، ورقة الحاشية"²⁵ لكل معجم مداخل تستعمل التعامل معه، فليست المعاجم كلها على درجة واحدة، وهذا راجع لاختلاف مدارسها.

5. ألفاظ ذات خلفية عقائدية في معجم الصحاح:

عند التقرب من المعجم عن كثب للبحث عن مفردات وألفاظ اللغة، يدرك الباحث المنقّب قدر المجهود المبذول، وشساعة الإحاطة باللغة لجمع ألفاظها، لكن الجوهري لم يستطع كغيره من العلماء التخلي عن خلفيته العقائدية المتمثلة في الاعتزال، ذلك ظاهر وبيّن في ألفاظ كانت محلّ سجال معرفي بسبب أن الفرق الإسلامية اتخذتها مطية لخدمة عقائدها من ذلك لفظ: استوى: يقول في شرحها: "وسوّيت الشيء فاستوى... ورجل سوي الخلق أي: مستو. واستوى من اعوجاج، واستوى على ظهر دابته، أي علا واستقر. وساويت بينهما أي سويت. واستوى إلى السماء أي قصد. واستوى أي: استولى وظهر، وقال:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مُمّراق"²⁶

نجد أن مسألة الاستواء دار حولها نقاش كبير عقائدي بين الفرق بين مثبت لها ومنكر بين الفرق الإسلامية بخاصة بين المعتزلة والأشاعرة، كل فرقة رأتها من زاويتها؛ يقول الشريف الرضي (359هـ-406هـ) وهو معتزلي في كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن): "أي قصد إلى خلقها كذلك؛ لأن الحقيقة في اسم الاستواء الذي هو تمام بعد نقصان، واستقامة بعد اعوجاج، من صفات الأجسام، وعلامات المحدثات"²⁷ عامة المعتزلة ترى التنزيه عن مشابهة المخلوقين للذات الإلهية، لذا الاستواء للجسم وهو خاص بالمخلوق المتّسم بالجسمية والمكانية والزمانية، وهو ليس من صفات الذات الإلهية التي تعلو عن مشابهة المخلوق جاعلين من قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"²⁸ سند معرفي ارتكزوا عليه في تأويل كل ما يؤدي إلى التشبيه.

نجد في موضع آخر قوله: "وهو استعارة؛ لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التي تعلو البساط وتميل وتعتدل، والمراد بالاستواء هاهنا: الاستيلاء بالقدرة والسلطان، لا بحلول القرار والمكان، كمال يقال: استوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى: استولى على تدبير الملك، ومَلَك مقعد الأمر والنهي، وحسُن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه، ولا مكان عالٍ يشار إليه، وإنما المراد: نفاذ أمره في مملكته، واستيلاء سلطانه على رعيته"²⁹ نظراً لسعة اللغة العربية وحاملاتها للتنوع المعنوي، وجد كثيرون مدخلا لتمرير مفهوماتهم لكثير

القضايا التي تخدم معتقداتهم كانوا يرونها الأسلم بالإتباع والاقتداء، وما سواها ظال عن سبيل الحق.

عين: يقول الجوهري في شرحها: "حرف من حروف المعجم، ويقال: هو عبد عين: أي: هو كالعبد لك مادمت تراه، فإذا غبت فلا. ويقال: أنت على عيني في الإكرام والحفظ جميعاً، قال الله تعالى: "ولتصنع على عيني" طه: 39³⁰ بين طيات النص ملامح اعتزالية ضمّنها الجوهري في شرحه، كان باستطاعته تجنّب إيراد مثل هذا الكلام، لكن معتقده الاعتزالي لم يُسعفه في ذلك، وهو ديدن غالبية من كان يسير في فلك أي فرقة أو معتقد.

نستأنس بحديث الشريف الرضي المعتزلي كالعادة من كتابه (تلخيص مجازات القرآن) يقول في تأويلها: "أن تتربى بحيث أركان وأراك، وليس هاهنا شيئاً يغيب عن رؤية الله سبحانه، ولكن هذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية، وفطر الحفظ والكلاءة، ولما كان الحافظ للشيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه، جاء (تعالى) باسم العين بدلاً من ذكر الحفظ والحراسة، على طريق المجاز والاستعارة"³¹ كل هذا ضمن تأويل صفات الذات الإلهية وتجاوز المعنى السطحي كما يرون للآيات إلى المعنى الباطني منها وهو المقصود، لذا حوّلوها عن مقصدها الحقيقي إلى المجازي باعتباره الأصوب والأصح بالنسبة لهم.

يد: يقول الجوهري في شرحها: "واليد القوة، وأيده أي قواه. ومالي بفلان يدان أي: طاقة، قال تعالى: "والسما بنيناها بأييد" الذاريات: 47 وقوله تعالى: "حتى يُعطوا الجزية عن يد" التوبة: 29 أي عن ذلّة واستسلام...واليد: النعمة والإحسان تصطنعه، وتجمع على: يدي ويدي"³² نلاحظ أن الجوهري جمع ما أسعفه اجتهاده حول اللفظ، لكن المدقق يرى اللمسة الاعتزالية حاضرة بين ثنايا شرحه في استحضاره للآية الكريمة التي تتحدث عن صفة اليد للذات الإلهية، لكنه أرفها بقوله: واليد النعمة والإحسان؛ كله أجمعت عليه المعتزلة في تأويلها لصفة اليد بالنعمة في كل السياقات التي وردت فيها.

نستأنس كذلك بكلام الشريف الرضي حين يقول في تفسيرها: "والمراد بذكر الأيدي هاهنا قسمان من أقسام اليد في اللغة العربية. إما أن تكون بمعنى القوة، وبمعنى تحقيق الإضافة، فكأنه (سبحانه) قال: أو لم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً اخترعناها بقوة تقديرتنا، ومُتقن تدبيرنا"³³ ديدن المعتزلة ومن سار على دربهم تحريف وتأويل الآيات التي يوهم ظاهرها بالتجسيم إلى المعنى المجازي، وهو ما صنعه هنا بشرح اليد بالقوة والنعمة والإحسان، وهو من استعمالات العرب لا إنكار في ذلك، أما أن تتعلق بالقرآن فذاك شيء آخر.

سعيينا من خلال هذا البحث الوقوف على ذلك التراكم اللغوي الكامن في معجم الصحاح، وقوفاً على حقيقة الخلفية العقائدية لصاحب المعجم، ذلك أن التكوين المعرفي للعلماء لم ينفك عن التأثير الحاصل في بيئاتهم التي نشؤوا فيها، فرض نفسه كمعادلة حساسة كانت لها عواقب

على مرّ الأزمان منتقلة من زمن إلى آخر، لذا وجب التنبّه لها، والتنويه لها كي لا يقع الباحثون في مغبّة النقل دون التدبّر ما وراءها من شبهات.

6. خاتمة:

نشوء المعاجم اللغوية جاء نتيجة اتّساع رقعة الحضارة الإسلامية، لذا كان لزاماً على العلماء جمع اللغة خوفاً عليها من الضياع ما أصبح يعرف بجمع اللغة أو التقعيد اللغوي، عن طريق الرحلة إلى البادية للجمع، تليها مرحلة جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، كأخر مرحلة وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص، يرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة.

أما عن أهم النتائج المتوصل إليها من البحث فهي:

- (1) اختلفت درجة الفصاحة من قبيلة إلى أخرى لم تكن على درجة واحدة، بسبب البعد المكاني، لهذا القبائل المتاخمة للعجم لم يؤخذ عنها.
- (2) الجمع والتبويب لم يسلم من الاعتقادات الدينية ذلك أن الاختلاف آت من اختلاف المذاهب الإسلامية في مسائل الإيمان والعقيدة، اختلافهم في مناهج فهم النصوص وطرائق تفسيرها.
- (3) اللغة من أهم أسباب تنوع الفهم وتباينه في حقل الدراسات العقدية اختلاف الرؤى جاء من اختلاف فهم اللغة ودرجاتها، بحكم تلك المناهج جعلت من اللغة في خدمة عقائدها، كأنها جعلتها تابعة لا متبوعة.
- (4) اللغويون كغيرهم من العلماء تأثروا بالمناهج العقدية التي راجت في عصورهم؛ لمعايشتهم لها، وأهم المناهج التي تأثروا بها حتى نهاية ق4هـ حسب الأهمية هي: منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج المعتزلة.
- (5) كثير من العلماء لم يستطيع التخلص من خلفياته العقائدية أثناء التأليف، على غرار الجوهري الذي ضم معجمه الصحاح ألفاظ مشروحة بحسب معتد المعتزلة الذي كان يسير في فلكه.
- (6) لابد من الحيطة العلمية أثناء التنقيب والبحث في هذه المعاجم، وإدراك الخلفيات العقائدية تجنباً للدخول في متاهات الباحث في غنى عنها، وهي على كثرتها، وإنما الجوهري على سبيل المثال لا الحصر، يبقى المجال مفتوحاً للبحث والتنقيب عنها.

الهوامش:

* أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي المعروف: بالجوهري، وأصله من فاراب إحدى بلاد الترك، ولد سنة 332هـ وتوفي 398هـ على الأشهر، كان الجوهري إماماً في اللغة والأدب في عصره، وكلام الرواة عنه يدل على ما كان يتمتع به هذا العالم، يقول عنه ياقوت: إنه من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة.

¹ - إبراهيم محمد الجرمي، أثر الدلالة اللغوية في اختلاف المسلمين في أصول الدين، دار قتيبة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص30.

- ² - محمد محمد الشيخ عليو، مناهج اللغوية ف تقرير العقيدة إلى نهاية ق4هـ، دار المنهاج، الرياض، ط1، 1429هـ، ص98.
- ³ - إبراهيم محمد الجرمي، أثر الدلالة اللغوية في اختلاف المسلمين في أصول الدين، ص34.
- ⁴ - الشافعي، الرسالة، تح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1938، ص50.
- ⁵ - الشافعي، الرسالة، ص52.
- ⁶ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1998، ص264.
- ⁷ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص264.
- ⁸ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص265.
- ⁹ - السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح محمد أحمد جاد المولى وآخرون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، د س، ص58.
- ¹⁰ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1998، ص246.
- ¹¹ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص246.
- ¹² - حسن نصار، المعجم العربي، دار الجاحظ، بغداد، د ط، 1980، ص10.
- ¹³ - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1996، ص192.
- ¹⁴ - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، القاهرة، د ط، د س، ص211.
- ¹⁵ - عدنان محمد سلمان، حقيقة اللغة ومفرداتها، مجلة المجمع العلمي العراقي، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1988، ص321.
- ¹⁶ - عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، دار ابن بطوطة، عمان، ط1، 2007، ص04.
- ¹⁷ - ابن فارس (أبو الحسن بن أحمد بن زكريا)، معجم المقاييس في اللغة، تح شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص742.
- ¹⁸ - محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياها، دار ابن خزيمة، السعودية، ط1، 2005، ص307.
- ¹⁹ - ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج3، تح محمد علي النجار، المكتبة التوفيقية، مصر، ط1، 2015، ص81.
- ²⁰ - ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج3، ص245.
- ²¹ - إبراهيم محمد الجرمي، أثر الدلالة اللغوية في اختلاف المسلمين في أصول الدين، ص44.
- ²² - محمد محمد الشيخ عليو، مناهج اللغوية ف تقرير العقيدة إلى نهاية ق4هـ، ص48.
- ²³ - الشاطبي، الموافقات (عنوان التعريف بأسرار التكليف)، ج4، تح محمد مراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص453.
- ²⁴ - محمد محمد الشيخ عليو، مناهج اللغوية ف تقرير العقيدة إلى نهاية ق4هـ، ص103.
- ²⁵ - أحمد عبد الغفور العطار، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص110.

- ²⁶ - الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (ت398هـ)، تح محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2009، ص569.
- ²⁷ - الشريف الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح محمد عبد الغنى حسن، مكت الآداب، القاهرة، ط1، 2012، ص115.
- ²⁸ - سورة الشورى، الآية 11.
- ²⁹ - الشريف الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص154.
- ³⁰ - الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، ص833.
- ³¹ - الشريف الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص224.
- ³² - الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، ص1277.
- ³³ - الشريف الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص276.